فِقْهُ السِّيرَةِ

ح زيد بن عبد الكريم الزيد ، ١٤٢٤هـ .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .

الزيد ، زيد بن عبد الكريم .

فقه السيرة ./ زيد بن عبد الكريم الزيد ـ الرياض ، ١٤٢٤هـ .

٧٣٦ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٦-٧٤٢-١٠-٩٩٦٠

١- السيرة النبوية أ.العنوان

ديوي ٢٣٩ ٤٧٦٤/ ١٤٢٤

رقم الإيداع : ٤٧٦٤ ١٤٢٤

ردمك : ٦-٧٤٢-١٠-٩٦٠

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الثالثة ١٤٢٨ هـ

دار التدمرية

الرياض ـ ص.ب: ٢٦١٧٣ ـ الرمز البريدي: ١١٤٨٦

هاتف: ٤٩٢٤٧٠٦ ـ ٤٩٢٥١٩٢ ـ فاكس: ٤٩٣٧١٣٠

Email: TADMORIA@HOTMAIL.COM

المملكة العربية السعودية

فقه السيرة

تأليف

أ.د. زيد بن عبد الكريم الزيد

أستاذ الفقه المقارن بالمعهد العالي للقضاء
وعميد المعهد

دار التدمرية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فيقول ابن سبط رسول الله ﷺ علي بن الحسين ـ رضي الله عنهما ـ : (كنا نعلم مغازي النبي ﷺ كما نعلم السورة من القرآن) [١] .

ويقول الإمام الزهري ـ رحمه الله تعالى ـ (في علم المغازي علم الآخرة والدنيا) [٢] .

ويقول ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ : (رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفي في صلاح القلب ، إلا أن يمزج بالرقائق والنظر في سير السلف الصالح) [٣] وفي مقدمة سير السلف ، وعلى رأسها سيرة رسولنا ﷺ .

ويصف عبيد الله بن عتبة مجلس ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ للحديث عن السيرة ، فيقول : (ولقد كنا نحضر عنده فيحدثنا العشية

---

(١) الخطيب البغدادي ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/٢٥٢ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) ابن الجوزي ، صيد الخاطر ص ٢٩٢ .

كلها في المغازي) ، وكان ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قد خصص جزءاً من يومه لتدريس المغازي [١] .

ويقول ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ : (إن سيرة محمد ﷺ لمن تدبرها تقتضي تصديقه ضرورة ، وتشهد له بأنه رسول الله ﷺ حقاً ، فلو لم تكن له معجزة غير سيرته ﷺ لكفى) [٢] ، ويقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : (ومن هنا تعلم اضطرار العبد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول ﷺ وما جاء به وتصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة ، إلا على أيدي الرسل ... وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ويدخل في عداد أتباعه وشيعته وحزبه ، والناس في هذا بين مقل ومستكثر ومحروم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) [٣] .

و (سيرة الرسول ﷺ مملوءة بالعبر ، والعظات ، والدروس ، والمبادئ العظيمة وإنا نحسب أن سيرة الرسول ﷺ وكمال عقله وخلقه واستقامة نفسه ، وسلامة ما يدعو إليه ، كل ذلك في نفسه دعوة إلى الإسلام في وسط غياهب الجهالة في الماضي ، وهو لا يزال القوة

---

(١) محمد مصطفى الأعظمى ، مغازي رسول الله ﷺ لعروة ابن الزبير ص ٢٣ .
(٢) ابن حزم ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٢ / ٩٠ .
(٣) ابن القيم ، زاد المعاد في هدي خير العباد ١ / ٦٩ — ٧٠ .

الداعية إلى الإسلام في عصرنا الحاضر ، وإننا نجد بعض الناس يسلمون إذا علموا السيرة النبوية ، وأدركوا عقله ، وبعده عن الأوهام ، والخرافات التي تسود العامة ، وتستهوي تفكير السذج)[١] .

وما هذا الاهتمام بالسيرة النبوية العطرة إلا لأن السيرة سلوك ، بل أقوم سلوك ، وتصرفات المصطفى ﷺ فيها أهدى تصرفات ، فكانت بذلك مثلاً أعلى ، وميزاناً صادقاً توزن بها أعمال البشر ، وحركات بني آدم .

إن السيرة تطبيق حي للقرآن الكريم ، ذلك أن القرآن الكريم مبادئ سامية ، ومنهج حياة كامل ، وجاءت سيرة الرسول ﷺ تطبيقاً كاملاً عملياً لهذه المبادئ العظيمة .

ولذا فقد اجتمع في هذا الدين عظمة المبدأ ، وجودة المطبق[٢] ، ولم يبق لأحد بعد ذلك حجة يحتج بها وأصبح أمام الناس أجمعين القرآن الكريم يُتْلَى ومعه سيرة الرسول ﷺ تبيِّن للناس كيف يتحول القرآن الكريم إلى سلوك عملي في الحياة يصلح الدنيا والآخرة .

وإن عظمة المبدأ لا تغني عن وجود القدوة الحسنة (وإن أي نظرية مهما بلغت من الصحة والدقة ، وإن تعليماً مهما يكن رائعاً ، ويقع

---

(١) محمد الشثري ، الدعوة في عهد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ ٢/٥٨٢ وبعض النص نقله عن محمد أبو زهرة في كتابه (الدعوة إلى الإسلام) ص ٦٥ .

(٢) الرسول ﷺ وسلفنا الصالح رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

من الناس موقع الإعجاب ، لا يغني ولا يثمر ثمره ، ولا يبقى على الدهر إلا إذا كان له من يمثله بعمله ، ويدعو إليه بأخلاقه وفضائله ، ويعرفه إلى الناس بالقدوة والأسوة ، فيقتدي الناس بدعاته عن طريق العمل بعد العلم ، معجبين بسجايا هؤلاء الدعاة ، معظمين لأخلاقهم ، مكرمين طهارة قلوبهم ، وزكاة نفوسهم ... والدين لا ينجح ويعلو وينتشر إلا بسيرة النبي ﷺ الذي بعث به ، وبما عرفه الناس عنه في شؤون حياته وفي أخلاقه وأعماله) [١] .

ولذلك فالسيرة جزء من هذا الدين ، والتعريف بها تعريف بهذا الدين ، يقف الخليفة الراشد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطيباً في أول خطبة له بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتوليه الخلافة يقول بعد حمد الله والثناء عليه : (إن الله تعالى نهج سبيله ، وكفانا برسوله ﷺ ، فلم يبق إلا الدعاء والاقتداء) [٢] ، والاقتداء الشرط فيه : وضوح القدوة وصلاحيتها للاقتداء ، ولقد كانت سيرة محمد ﷺ هي السيرة الوحيدة التي جمعت الخصائص الأربع المطلوبة التي يجدر بالناس أن يتخذوها قدوة في حياتهم وهي : كونها تاريخية وجامعة وكاملة وعملية [٣] ، فهي سيرة تاريخية ، يشهد التاريخ بصحتها ، وجامعة

---

(١) سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية ص ٣٨ - ٤٠ .

(٢) ابن الجوزي ، تاريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ص ١٩٤ .

(٣) سليمان الندوي ، الرسالة المحمدية ص ٦٨ .

لجميع أطوار الحياة ، وأصناف المجتمع ، وجميع شؤون الحياة ، وكاملة لا نقص فيها ، وعملية فلم تكن قولية فقط ، بل قول من الداعي ﷺ يصحبه عمل وتطبيق على نفسه ، ولن نجد سيرة لفرد تصلح أن تكون للإنسانية أسوة سوى سيرة هذا النبي محمد ابن عبد الله ﷺ (١) .

وقد توالت الكتابات في السيرة النبوية العطرة في القديم والحديث تعبيراً عن مكانته ﷺ في النفوس ، وحباً في معايشة حياته الكريمة العطرة ﷺ ، ورغبة في الإسهام بتقديم هذه السيرة الخيرة والنموذج الأمثل للأمة .

وقد اخترت لنفسي الكتابة في فقه السيرة ، وما سيجده القارئ هنا هو (فقه سيرة) وليس (كتاب سيرة) ذلك أن السيرة الكريمة للمصطفى ﷺ مدوَّنة ، ولا سبيل في عصرنا لمتأمل أن يضيف عليها ، وإنما يستنبط منها المزيد من الدروس والعبر ، وفق ما يفتح الله عليه ، وهو ما حاولت أن أقدمه هنا لك أيها القارئ الكريم ، و ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ (٢) .

ولقد اعتمدت بعد الله في هذه الدراسة على منهج الاستقراء لأبرز أحداث السيرة وفق التسلسل التاريخي مع التوقف عند كل حدث من

---

(١) انظر : سليمان الندوى ، الرسالة المحمدية ص ٨ ، ٦٧ .
(٢) سورة الطلاق ، الآية رقم (٧) .

تلك الأحداث بعد عرض موجز ، محاولاً استنباط الدروس والفوائد ذات الصلة بالدعوة والسلوك والتربية ، مرتباً تلك الفوائد ترتيباً يتناسب مع التسلسل التاريخي للحدث ذاته دون نظر أو اعتبار في الترتيب لأهمية الفائدة وإنما لتسلسلها التاريخي داخل الحدث ؛ كي يتمكن القارئ من استمرار تصور الحدث وربطه بالفائدة المستنبطة .

وقد استغرقت هذه الدراسة أكثر من عشر سنوات لم أكن ـ بكل تأكيد ـ متفرغاً لها ولا شاغلاً وقتي كله فيها ، ولكن كنت أعايشها فكراً من خلال كل قراءاتي ، فما تمر مدة وجيزة إلا وأعود إلى ما كتبته بالزيادة والإضافة ، وذلك بدءاً من عام ١٤١٣هـ تقريباً مع ما سبق ذلك من تدريس لفقه السيرة في الجامعة وفي المسجد حتى تم إنجاز وطباعة الجزء الأول عام ١٤١٥هـ ، ثم صدر قرار الجامعة بتفريغي بناء على طلبي لمدة عام لإكمال بقية الكتاب .

وتم إنجاز ما تبقى بين عامي ١٤١٧هـ و ١٤١٨هـ ولكنه بقي حبيس الأدراج في مكتبتي لا أغفل عنه بمزيد التعليق والإضافة أو التعديل والحذف ومع بداية هذا العام ١٤٢٤هـ رأيت أن أعيد النظر في كل ما كتبت بقراءة أخيرة ، تمهيداً لطباعته في كتاب ؛ لتكون المدة من الابتداء إلى تاريخ الانتهاء تتجاوز عشر سنوات ـ كما سبق أن قلت ـ وهي مهلة طويلة للتروي والتفكير أفادتني كثيراً .

وكانت تقسيمات الدراسة على النحو التالي :

مقدمة .

مدخل وفيه :

أ. أهمية دراسة السيرة النبوية .

ب. أسباب اختيار الجزيرة العربية منطلقاً للرسالة والخاتمة .

ت. ميزة ختم الرسالات برسالة محمد ﷺ ، والأمم بأمة محمد ﷺ .

الفصل الأول : فقه السيرة من بدايتها إلى قبيل البعثة .

الفصل الثاني : فقه السيرة من البعثة إلى الهجرة إلى الحبشة.

الفصل الثالث : فقه السيرة من إسلام حمزة وعمر ـ رضي الله عنهما ـ إلى الإسراء والمعراج .

الفصل الرابع : فقه السيرة من العرض على القبائل إلى الهجرة.

الفصل الخامس : فقه السيرة من وصول المدينة النبوية إلى نهاية غزوة بني قريظة .

الفصل السادس : فقه السيرة من غزوة الحديبية إلى نهاية غزوة مؤتة.

الفصل السابع : فقه السيرة من فتح مكة إلى وفاة المصطفى ﷺ.

خاتمة البحث .

الفهارس العامة .

وفي الختام أرى لزاماً علي أن أشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي تعلمت فيها قرابة عشرين عاماً ، ثم احتضنتني أحد أعضاء هيئة التدريس عشرين عاماً أخرى وفرغتني لإنجاز هذا البحث ، سائلاً المولى ـ عز وجل ـ أن يجعلها جامعة مباركة يعم نفعها بلاد المسلمين .

كما أشكر إخواني الذين تفضَّلوا علي بمراجعة هذا الكتاب ، فقرأه كل منهم كاملاً من أوله إلى آخره وأبدى عليه ملحوظات مفيدة كانت محل عناية الباحث وهم :

١. فضيلة الأستاذ الدكتور / فضل إلهي ظهير ، الأستاذ في قسم الدعوة في جامعة الإمام سابقاً .

٢. فضيلة الدكتور / عبد الرحمن بن سليمان الخليفي ، الأستاذ المشارك في قسم الدعوة بالجامعة .

٣. فضيلة الدكتور / خالد بن عبد الرحمن القريشي ، الأستاذ المشارك في قسم الدعوة بالجامعة .

سائلاً المولى ـ العلي القدير ـ أن يجزيهم خير الجزاء على ما بذلوه من جهد وما أسدوه من نصح .

وبعد :

فهذا الكتاب هو جهد بشري فما فيه من صواب فمن فضل الله وتوفيقه ، وما فيه من خطأ فهو مني ومن الشيطان والله ورسوله منه

بريئان [١] وأسأل الله العفو والمغفرة وأرجو إن فاتني أجرا الإصابة ألا أحرم أجر الاجتهاد ، مؤملاً من كل ناصح يرى خللاً أن يلتمس العذر ، وليعلم أني رجاع للحق بإذن الله (والرجوع للحق من جملة الدين) [٢] .

أسأل الله جل شأنه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبل هذا العمل عنده وأن ينفع به كاتبه وقارئه وكل من له إسهام في نشره .

والله الهادي إلى سواء السبيل وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

أ.د. زيد بن عبد الكريم الزيد
ص.ب : ٣٦١٠٧٧
الرياض : ١١٣١٣
البريد الإلكتروني : azzaid77@hotmail.com
الفاكس : ٠١ - ٤٥٥٧٦٦٠

---

(١) ورد هذا المعنى عن أبي بكر الصديق ﷺ لما سُئِلَ عن الكلالة قال : (أقول فيها برأيي ، فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه) تفسير ابن كثير ١/٤٦٠ ، وورد أيضاً عن ابن مسعود ﷺ في مسألة طرحت عليه كما في مسند الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ ١/٤٤٧ ، وانظر هذا المعنى تفصيلاً في : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية لابن تيمية ٥/ ١٨٢- ١٨٦ .

(٢) العيني ، عمدة القارئ ١/ ٦٦ .

المدخل

وفيه :

أولاً : أهمية دراسة السيرة النبوية .

ثانياً : أسباب اختيار جزيرة العرب منطلقاً للرسالة الخاتمة .

ثالثاً : ميزة ختم الرسالات برسالة محمد ﷺ ، والأمم بأمة محمد ﷺ .

أولاً : أهمية دراسة السيرة النبوية :

سيرة الرسول ﷺ جزء من هذا الدين ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [١] ويقول تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [٢] ، والبيان يكون بالقول وبالفعل وبالإقرار على الفعل والسيرة النبوية فيها التطبيق العملي للقرآن الكريم ؛ ولذلك فلدراستها أهمية كبيرة يمكن أن نجمل أبرزها فيما يلي :

١. أن (الله جل شأنه أمرنا في تنزيله بتدوين سيرة نبيه ﷺ وسننه فقال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) [٣] ولا يمكن اتخاذه ﷺ أسوة حسنة إلا بمعرفة سيرته وهديه ، والعلم بهذا وذاك لا يكون إلا بتدوين سيرته ، وسننه وهديه في قوله وفعله وتقريره ﷺ وتخريجها) [٤] .

٢. ندرس سيرة رسول الله ﷺ ؛ لأنها سيرة أعظم رجل عرفته البشرية ، فهي سيرة سيد ولد آدم عليه السلام ، كما يقول ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة » [٥] .

---

(١) سورة النجم ، الآيتان (٣ و ٤) .

(٢) سورة النحل ، الآية رقم (٤٤) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآية رقم (٢١) .

(٤) بكر أبو زيد ، التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل ، الطبعة الأولى (الرياض : دار العاصمة د، ت) ١/ ٦٦ .

(٥) صحيح الإمام مسلم ٤ / ١٧٨٢ .

٣. وندرس السيرة ؛ لأجل فهم كتاب الله سبحانه وتعالى ، إذ كثير من الآيات نزلت بسبب أحداث وقعت في السيرة ، ثم بعد نزولها أيضاً كان امتثال الرسول ﷺ لمضمون تلك الآيات بمثابة شرح عملي لكيفية الاستجابة لما ورد في تلك الآيات ، فالسيرة تبين الآية من حيث معرفة سبب نزولها ، ومن حيث معرفة كيفية الاستجابة لمضمونها ، يقول عبد الحميد بن باديس ـ رحمه الله تعالى ـ : (وفقه القرآن الكريم يتوقف على فقه حياة النبي ﷺ وسنته ، وفقه حياته ﷺ يتوقف على القرآن ، وفقه الإسلام يتوقف على فقههما)[١] .

٤. من الأصول التي يجب على الإنسان معرفتها ، معرفة العبد لنبيه بعد معرفته لربه ودينه[٢] .

ومعرفة النبي ﷺ تتضمن خمسة أمور :

أ. معرفته ﷺ نسباً فهو أشرف الناس نسباً .

ب. معرفة عام ومكان ولادته ، ومهاجره .

ت. معرفة حياته النبوية ، وهي ثلاث وعشرون سنة .

ث. بماذا كان نبياً ورسولاً ؟.

ج. بماذا أُرْسِلَ ولماذا ؟ فقد أُرْسِلَ بتوحيد الله تعالى وشريعته المتضمنة لفعل المأمور وترك المحظور ، وأُرْسِلَ رحمةً للعالمين

---

(١) ابن باديس ، الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية ص ٥٧ .

(٢) انظر : الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، شرح ثلاثة الأصول للإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله تعالى ـ ضمن مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٦ / ١٢١.

لإخراجهم من ظلمة الشرك والكفر والجهل إلى نور العلم والإيمان والتوحيد حتى ينالوا بذلك مغفرة الله ورضوانه وينجوا من عقابه وسخطه [١] ومعرفة الرسول ﷺ تقودنا إلى : -

أ. أن نكون أكثر محبة وتبجيلاً واحتراماً وتوقيراً للحبيب المصطفى ﷺ ، ويكون حبنا له ﷺ عن علم وليس عن عاطفة موروثة فحسب ، والحب عن علم هو الحب المطلوب.

ب. التأسي به ﷺ ، ونحن مأمورون بالاقتداء به ﷺ ، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [٢] وجعل سبحانه وتعالى التأسي به ﷺ دلالة محبة الله سبحانه وتعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [٣] ، ووعد المتأسين بالرسول ﷺ بمحبتهم ومغفرة ذنوبهم ، ولن نتمكن من التأسي به إلا بمعرفة سيرته ﷺ ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب [٤] ، وإذا وجب التأسي وجب ما لا يتم إلا به وهو معرفة السيرة .

---

(١) المرجع السابق ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية رقم (٢١) .

(٣) سورة آل عمران ، الآية رقم (٣١) .

(٤) انظر : ابن اللحام ، القواعد والفوائد الأصولية ص ٩٤ .

٥. السيرة علم واسع يدخل فيه ، وينضوي تحت لوائه ، كل العلوم الشرعية ، فمن خلال السيرة يمكن معرفة ما يلي :

أ. العقيدة : تتجلى أهمية العقيدة والتركيز على التوحيد لدارس السيرة النبوية الشريفة حينما يرى اهتمام الرسول ﷺ بالعقيدة في دعوته ، وكيف أن الرسول ﷺ بدأ بالتوحيد وشغل نفسه به أكثر حياته النبوية .

ب. الأحكام : ويتم الاطلاع من خلال السيرة النبوية على الأسئلة التي تعرض على الرسول ﷺ وإجابته عليها ، فضلاً عن سائر أقواله وأفعاله التي هي تشريع وأحكام ، وترشد إلى أحكام فقهية كثيرة تهم المسلمين في أمور حياتهم الدنيوية والأخروية.

ت. الأخلاق والسلوك : ونعرف هذا الجانب المهم من خلال الاطلاع على تعامل الرسول ﷺ مع صحابته وزوجاته وخدمه وغيرهم من أفراد المجتمع .

ث. الدعوة إلى الله تعالى : ففي السيرة النبوية المواقف المهمة في موضوع الدعوة وأسلوبها والصبر عليها ، مما لا يمكن للدعاة إلى الله القيام بالدعوة بدونها .

ثانياً : أسباب اختيار جزيرة العرب منطلقاً للرسالة الخاتمة [١] :

١) إن جزيرة العرب أرض حرة ، لا سلطان لأحد عليها ممن يعادون الدين من تلك الإمبراطوريات المعاصرة كالفرس والروم ونحوهما .

٢) إن جزيرة العرب لم تكن ذات ديانة موحدة غالبة في سائر بقاعها ، فقد كانت الوثنية منتشرة ، لكنها عبادات شتى ، فمنهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الكواكب ، ومنهم من يعبد الأصنام ـ وهم الأغلبية ـ ومع ذلك فهذه الأصنام متعددة ، وربما كان لكل بلد صنم ، وكان في معتقداتهم خلخلة ، وفيهم من كان يرفض ذلك ويتحدث بنقده ، ومنهم من كان على دين اليهودية أو النصرانية ، وقلة متمسكة ببقايا من الحنيفية الإبراهيمية عليه السلام .

٣) بالإضافة إلى ما سبق فإن الأوضاع الاجتماعية في الجزيرة العربية لها قيمتها ومكانتها في ذلك الوقت ، فقد كان النظام القبلي هو النظام السائد ، وكان للعشيرة وزنها في هذا النظام ، فلما قام محمد ﷺ بدعوته وجد من قوة بني هاشم نصرة له وحماية ، يتقدم هؤلاء عمه أبو طالب ، ثم من نصره ووقف معه يوم الحصار في الشعب ، بل إن من الداخلين في الإسلام من استفاد من هذه العصبية القبلية .

---

(١) حينما نتحدث عن هذه الأسباب فلا يَعْدُ هذا في الغالب أن يكون اجتهاداً في معرفة سبب الاختيار لا نملك عليه دليلاً من النصوص الشرعية ، وإنما هو توقع وتلمس للأسباب ، والعلم بالحكمة الحقيقية عند الله سبحانه وتعالى .

٤) إن العرب الذين عاشوا في جزيرة العرب وفي مكة خاصة كانوا بعيدين عن مظاهر المدنية ، فهم ـ كما يقال ـ خامات طبيعية ، لم تؤثر فيهم الحضارات والأفكار الأخرى .

٥) إن جزيرة العرب تقع وسط العالم مما يسهل اتصال هذه الرسالة بهم ، وانتشارها بينهم ، والتاريخ الإسلامي بعد ذلك شاهد على فائدة بزوغ الدعوة الإسلامية من هذه المنطقة الوسطى[١] .

٦) تفوق اللغة العربية وسعة انتشارها ، ففي الجزيرة العربية كانت لهم لغة واحدة ، هي : اللغة العربية في مقابل تعدد اللغات في أماكن أخرى كالهند مثلاً التي فيها (١٥) لغة رسمية[٢] .

---

(١) انظر في كون مكة وسط العالم ما يلي :

أ. القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ٢ / ١٥٣ .

ب. البسام ، نيل المآرب تهذيب شرح عمدة الطالب ٢ / ٥١١ .

ت. مجلة البحوث الإسلامية ، العدد الثاني ص ٢٩٢ ، بحث للدكتور حسين كمال الدين يقول في مقدمة البحث: (ومما يجدر ذكره في هذه المقدمة أني بعدما وضعت الخطوط الأولى في هذا البحث ورسمت عليها القارات الأرضية وجدت أن مكة المكرمة هي مركز الدائرة تمر بأطراف جميع القارات أي أن الأرض اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة المكرمة توزيعاً منتظماً وأن مدينة مكة المكرمة في هذه الحالة تعتبر مركزاً للأرض اليابسة وصدق الله العظيم إذ يقول : ﴿ وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه ﴾) سورة الشورى ، الآية رقم (٧) .

(٢) انظر : أبو الحسن الندوي ، السيرة النبوية ص٢٢ .